

تفريدة الصباح

أقرأ في التاريخ الفلسطيني القديم، وأعود إليه دائماً، فتأخذني منه أخبار المدن والبلدات الفلسطينية إلى حد يشعرنني بأنها ممالك وعواصم وليست بلدات معنية بالزراعة والتجارة وحسب، وليست، فقط، مدناً قادرة على الاستيعاب والمضايقة، فيها جل ما تحتاج إليه الحياة من المشافي، والمدارس، والساحات، وال عمران وأزيد، وهو ما يجعل المرء مدهوشاً، لأنه يشعر بأن منافسة جليلة تدور بين هذه البلدات والمدن الفلسطينية من أجل الأحقية بمسمى البلدة العامرة أو المدينة العامرة، والاسم، كما هو واضح، مستل من العمران.

وقفت على تاريخ كل البلدات الفلسطينية الكبيرة، والمدن الفلسطينية التي ذاع صيتها، وانداحت شهرتها في جميع انحاء الدنيا، وكنت أظن، مثل غيري، أن الجمال والجلال والقداسة والعمران والسحر والدهشة بادية وجلية في مدينة القدس وحدها، ولكن هذا لم يكن سوى ظن، لأن كل هذه الصفات موجودة، وبحضور عجيب، في جميع البلدات والمدن الفلسطينية.

كنت أظن أن أريحا، بلدة صحراوية، مدينة نخيل، وحر، وملح، ومدينة لأشجار الموز، ولها بحر ميت وحسب، لكن قراءة تاريخ هذه المدينة، يضع المرء في دائرة الدهول، فهي، ومن حيث الجغرافية، جسر يربط الجزيرة العربية بالبحر الأبيض المتوسط، فكل منتوجات الجزيرة العربية والعراق المعدة للتصدير تأتي إلى مدينة أريحا، وتدل على ذلك خانقاهات الكبيرة التي هي مستودعات شاسعة للبطائع والمنتوجات والصناعات القادمة ليس من الجزيرة العربية والعراق وحسب بل القادمة من الهند أيضاً، وازدهار التجارة في أريحا، بسبب موقعها الجغرافي، جعل أهلها يعيشون حالاً منالحضارة القائمة على المثاقفة، وأبدى صورها المدارس، والمعاهد التعليمية، ودور الحرف اليدوية والصناعات الصغيرة، وإقبال الناس على تعلم الفنون جميعاً، من الموسيقى والغناء، إلى الرسم والنحت والتشكيل، إلى اللغات المعينة على التفاهم، فازدهرت الصناعات اليدوية وانتشرت شهرتها، وهي التي تعتمد على الموارد الأولية الموجودة في أريحا نفسها، من قصب، وحلفا وسعد، وبربير، وسعف النخيل، وطلاحي شجر الموز، وجلود الحيوانات، وكل هذا أدى إلى ازدهار العمران، عمران البيوت، والمشافي، والمدارس، ودور العبادة، والمؤسسات الخدمية، ومنها مراكز الثقافة والفنون والتدريب، ودور السينما. وأريحا بلده لجلاله القدسي،

سيدنا.. كان هنا!

فهي المدينة التي فيها جبل التجربة، وجبل قرنطل، ومغسل يوحنا المعمدان، وكلها أمكنة اكتسبت القداسة لأن سيدنا جاء إليها فأراً من أمام مطارديه الذين أرادوا قتله، وهو في طراوة العمر، وبداية التركيز لدعوته، لأنه كشف خدع الصيرافة وكذبهم ليس على الناس،بل على السماء أيضاً، تقولاً، وادعاءً، وشيطنةً.

إنّ معرفة ما جرى في جبل التجربة، وفي جحرات جبل قرنطل المحفورة في الصخور، طيلة وقت المطاردة والفرار والعزلة والاحتجاب لسيدنا، هي وحدها كافية لأن يقضي المرء وقتاً طويلاً ليقرأ ما كتبه الكهنة، والرواة، وكله مدهش، وفيه أسرار كبيرة، وإن معرفة التحولاتالتي أصابت البحر الميت، بحر أريحا، هي وحدها كافية لبعث الدهشة والعجب في النفس، أي كيف تحول ملح البحر الميت المرذول، إلى مصدر رزق للناس، وكيف تحولت المعادن النفيسة المحلّة في ماء البحر الميت وطنينه إلى أدوية لا مثيل لها في عالم الكيمياء، وإن معرفة ثقافة أهل أريحا وتعاملهم مع أشجار النخيل، وتحسين جودة التمور، وزراعة الأصناف النادرة من أشجاره، أعطى أريحا وتمورها شهرة عالمية، ومعرفة ثقافة أهل أريحا وتعاملهم مع أشجار الموز، وطريقة زراعته، وما تحتاج إليه أشجاره من أنواع التربة، ومقادير الماء، وأصناف الأسمدة، ورعاية طقوف الموز في المخامر التي أقامها أهل أريحا، ومعرفة أوقات نضجها، وما تحتاج إليه من المواد الكيماوية، وكميات الهواء، والعتمة، والضوء، والحرارة.. كلها ثقافة أنهلت الناس في عصورها القديمة، عدا عن ذلك، إن المعرفة الوافية بأحوال المناخ في أريحا جعل الناس يعدون رزنامة للمواسم، تنادف في أهميتها ودقتها الرزنامات التي عرفتها حضارات الفراعنة والإغريق، وبابل، رزنامة تأخذ بالاعتبار الحرارة، والرياح، والتربة، والأمطار،ومعرفة طبيعة الزروع ومتطلباتها، ومعرفة طبيعة الأرض والمواسم، وما يناسبها من الزروع، بدت كما لو انها معرفة تشبه البدهيات، أوقل تشبه معرفة الأسر والعائلات لأبنائها. كل هذ التاريخ، والمعرفة الضافية بأهمية الموقع والمكان، جعل من أريحا بلداً تجارياً، تجتمع في ساحاته وخاناته، منتوجات زراعية،وصناعات فخمة قادمة من أبعد بلاد الشرق، ذلك لأن أهل أريحا ، والمحاسبة، والتبادلية ما بين بضاعة وأخرى، وهذا ما أدى إلى تطور التجارة وازدهارها، وهذا ما تطلب عمراناً آخر لخانقاهات أخرى، وساحات

حبر على جمر

تشريع الموت: أربع زوايا لقراءة قانون إعدام الأسرى

بحماية خاصة تضمن كرامتهم وحقهم في الحياة. لكن تشريع الإعدام يعيد ترتيب هذه العلاقة، ليضع القوة فوق القانون، ويجعل الحياة نفسها موضوعاً للقرار السياسي.

عندما يصبح القانون جزءاً من المعركة، لم يعد القانون إطاراً لتنظيم الصراع، بل أصبح أداة فيه. ومع دخول الحياة الإنسانية إلى دائرة القرار السياسي، تتآكل الحدود التي وُجد القانون لحمايتها.

من إدارة الصراع إلى تصفيته،

الأخطر هو تطبيع فكرة الموت كحل سياسي. فالإعدام لا يختصر العدالة فقط، بل يلغي إمكانيات التسوية والحوار. وهنا لا يُستهدف الأسرى وحدهم، بل تُختبر منظومة القانون الدولي بأكملها.

السؤال لم يعد: هل يمكن سنّ هذا القانون؟ بل: ماذا يبقى من العدالة عندما تصبح الحياة نفسها قابلة للتشريع؟

القراءة الثانية: معركة الذاكرة - هل يسعى القانون إلى إسكات الرواية؟

من إدارة الأجساد إلى محاولة التحكم في السردية الأسرى كحضور يتجاوز السجن، لم يكن الأسرى مجرد معتقلين، بل تحوّلوا إلى أحد أهم مصادر السردية الوطنية. فالسجن لم يَنه حضورهم، بل أعاد إنتاجه عبر الكتابة والرمزية، ليصبحوا جزءاً من الوعي الجمعي.

من السجن إلى الإعدام:

تغيير وظيفة العقوبة، الإعدام لا يهدف فقط إلى إنهاء حياة الأسير، بل إلى إنهاء إمكانية تحوّلِه إلى شاهد. إنه انتقال من الاحتواء إلى الإلغاء، ومن الصمت المؤقت إلى الغياب النهائي.

إدارة الزمن لا إدارة الحاضر لا يقرأ هذا القانون كعقوبة آنية فقط، بل كأداة تتعامل مع المستقبل: تقليل عدد الشهود على التاريخ، والتأثير فيما سيتم تذكره لاحقاً.

هل يمكن للقانون أن ينتصر على الذاكرة؟، التجارب الإنسانية تشير إلى أن الذاكرة لا تُدار بالقوانين. فالغياب لا يمحو الروايات، بل يمنحها قوة رمزية أكبر. الأسير الحي يحمل قصة، أما الغائب فيتحول إلى رمز.

الصراع هنا لا يدور فقط على الأرض، بل في الذاكرة. والسؤال: هل يمكن للتشريع أن ينتصر في معركة الرواية؟

القراءة الثالثة: تشريع الخوف - كيف يخاطب القانون المجتمع الذي يسنّه؟

القانون كأداة طمأنة في زمن القلق الوجودي

أخرى للعرض، وتطلب أسواقاً أخرى، راح الناس يجولون فيها ويتطورون، حتى غدت مواسم ومواقيت التجلي والحضور في الشتاء والصيف، وهذا أيضاً ما أغنى الحياة الاجتماعية في أريحا، فالكثير من التجار، والمرافقين لقوافل التجارة، مكثوا في أريحا، وبعضهم عاش حياته فيها، وبذلك عرفت أريحا وجوهاً عديدة من المثاقفة الاجتماعية والإختلاط، بدت من خلالها تعددية الألسن ،والسلوك، وتبادلا للكتب، والمنافسة والمنادة ما بين وجوه الحضارات المتعددة، والقادمة من أقصى الشرق، وقد شاعت في أريحا روح التسامح والقبول، والتقدير للآخر، ما دام يطلب طيب العيش، وحسن المجاورة، ويسعى إلى المزيد من التمدن، والعطاء، والثقافة الإنسانية المؤمنة بالحرية والخير والمساواة.

نعم، كل هذا موجود في أريحا، ولو أراد المرء الاستزادة، فإن بمقدوره أن يواقف ما قاله رواة العلم والتاريخ والجغرافية، وما رواه الرواة عنحياة الناس أولاً، وهي حياة واسعة ومديدة، وفيها ما يذهل حقاً، وما رواه الرواة عنالمناخ وأفعاله العجيبة من الزلازل إلى الحرائق إلى الصواعق إلى الطوفان، ونجاح أهل أريحا في التعامل مع نتائجها الصعبة والثقيلة، وكيف أبقى أهل أريحا، هذه الروح العمرانية الجميلة التي ميزت حياتهم، فكانت أريحا أكثر من واحة في منطقة مناخها صعب، وجغرافيتها صعبة، ودروبها وعرة، ولأرضها الزراعية الشروط الواجبة التوافر حتى تعطي ما يطلبه الزراع منها، وكيف أبقى أهل اريحا هذا التوق للمعارف والفنون والعلوم، وكل أشكال العمران، عبر التواصل مع ما أعطته وأخرجته الثقافات العالمية، ولاسيما في بلاد الغرب، لأن علماء الدين، والأدباء، والفنانين، في بلاد الغرب... جاؤوا إلى أريحا طلباً للمعرفة والطمأنينة، فقرأوا، وتعلموا، وأنصتوا، ورسموا، وشاهدوا ما أنهلهم، وقد جاؤوا إلى أريحا حاملين معهم الأفكار، والأساليب، والتقنيات، والكتب، ومفصحين عن المواهب، ومعترفين بعطشهم لمعرفة أسرار هذا البلد العزيز الذي طلبه سيدنا، ووصل إليه كي تطمئن روحه بمحبة الناس، وما قاله العارفون به عنه.. الذين صدقوا قولهُوأمنوا به، وأيدوا فعله وأجلوه، لهذا كتب أهل أريحا، على الصخر نقشاً: سيدنا.. كان هنا، وكتبوا نقشا على الصخر أيضاً، قولته: ربي باركني، وبارك ما أرى، وما أسمع، وما أعيش.

Hasanhamid5656@gmail.com
لمى عواد

مقدمة

القوانين التي تُكتب للداخل، ليست كل القوانين موجّهة للخصم. بعضها يُسنّ لطمأنه المجتمع الداخلي، خاصة في لحظات القلق وانعدام اليقين. الإعدام كصورة للخصم

يقدّم الإعدام وعداً بسيطاً: نهاية واضحة ورد نهائي. وهو ما يجعله أداة نفسية تعيد إنتاج الشعور بالسيطرة، حتى لو كان ذلك مؤقتاً.

حين يكشف القانون أزمة أعمق،

القوانين التي تولد من الخوف لا تنهيه، بل تكشف غياب أفق سياسي قادر على تقديم بدائل غير القوة.

من أزمة داخلية إلى مؤشر عالمي، طرح الإعدام لا يعكس تحولاً محلياً فقط، بل يشير إلى مرحلة دولية تتراجع فيها الحلول السياسية لصالح العقوبات القصوى.

حين تتراجع السياسة، تتقدم القوانين القاسية. لكن الأمن لا يُبنى على إنهاء الخصم، بل على وجود أفق ينهي الصراع.

القراءة الرابعة: أزمة الردع - هل يكشف القانون حدود القوة؟

من الردع إلى الاعتراف الضمني بعدم فاعليته متى يصبح الإعدام خياراً؟.

الردع الحقيقي يعني منع الفعل قبل وقوعه. أما اللجوء إلى الإعدام، فيشير إلى أن الأدوات السابقة لم تعد كافية.

من التأثير إلى الإنهاء

الإعدام لا يسعى لتغيير سلوك الخصم، بل لإنهائه. وهذا يعكس تحولاً عميقاً في إدارة الصراع من التأثير إلى الإلغاء.

حدود تصعيد العقوبة

رفع مستوى العقوبات لا يعني بالضرورة زيادة الفاعلية، بل قد يكشف حدود القدرة على التأثير في دوافع الخصم.

صراع على المعنى لا على الخوف

حين يتحول الصراع إلى قضية وجود ومعنى، تفقد أدوات الردع فاعليتها، ويصبح الإعدام تعبيراً عن أزمة لا عن حل. فالقوة قد تسيطر على الأرض، لكنها لا تسيطر دائماً على الدوافع.

قد تنجح القوانين في تصعيد العقوبة، لكنها لا تستطيع وحدها إنهاء الصراعات. لأن الصراعات لا تُحسم فقط بالقوة، بل بالمعنى، ولا تُدار فقط بالقانون، بل بالأفق السياسي الذي يمنحها نهاية ممكنة. ويبقى السؤال مفتوحاً: هل نحن أمام قانون يفرض واقعاً جديداً، أم أمام لحظة تكشف حدود كل ما سبقه؟

الحياة الجديدة

سؤال عالماشي

موفق مطر

سيادة الانتماء على

القرار .. أما التبعية فإيادة

لم يكن ولن يكون الانتماء الوطني مجرد اسم رباعي موثق في السجل المدني، أو حيازة وثيقة رسمية (بطاقة أو جواز سفر) تحمل شعار الدولة، فكل شعب من الناس على الأرض في أقطار الدنيا عرف وأدرك المعنى الجوهرى للانتماء الوطنى، ورفعوا ركائز الدولة قبل ابداع الوثائق وما شابهاها للتعبير عن وجود دولته كالراية الرسمية (العلم) والعملة، والجيش الواحد والأرض الموحدة تحت سلطة ونظام وقانون واحد، حتى حين لم تكن الخرائط قد أخذت مكانتها بين عامة الناس، وكذلك ما يعرف اليوم بعلامات الحدود ومعابرها الحدودية، ذلك أن الفرد منذ بداية تشكيل الجماعات البشرية، وتطورها حتى بلوغها مرحلة استكمال شروط الشعب كما طرحها الفلاسفة القدماء، وأصبحت فيما بعد نصوصا قانونية تسمى الدستور، كان على يقين أن استمرار وجوده مرتبط أساسا بالانتماء، حيث تتوفر الروابط المتينة الجامعة بين أفراد الشعب، كالعرق واللغة والعقيدة والتاريخ والتراث والتقاليد (الثقافة) والجغرافيا اللازمة للحياة (الأرض) وفوق كل هذا النظام (القانون) ثم تجلى المعنى بصيغة الانتماء الوطنى كما نفهمه وتدركه الشعوب، وتمنحه جوهرأ انسانيا بتحريره من التعصب والتطرف أولاً، وتطهيره تماما من شوائب التبعية والعمل لتكريس قدرات بشرية ومادية لتنفيذ أوامر وتعليمات أجنادات جهات خارجية أيا كان شكل كياناتها: سياسية كانت (دولة أو قوة اقليمية أو جماعة عابرة للحدود) أو أمنية (اجهزة استخبارات)أو ثقافية (طمس أصول الهوية الوطنية الانسانية)أو اقتصادية اجتماعية (تطبيق نظريات غير قابلة للتحقق نظرا لعدم توفر شروط نجاحها)؟

فالتبعية إما أن تكون أحادية فقط، أي للوطن، أي الشعب والأرض والقانون ، وبذلك يتجلى الانتماء الوطنى في فضاء المعانى الجوهرية للانسانية اللامحدود، أو ثنائية التي تعتبر بمثابة هزات أرضية مدمرة، تستمر ارتداداتها على مدى عقود إن لم تكن أكثر، فينقسم الشعب، وتنقسم الأرض، أما النظام والقانون فيهوي في أحاديذ عبيقة واسعة باعدت بين المواطن والآخر، الأمر الذى يحتاج الى معجزة لخلق وقائع جديدة لإعادة الترابط عبر جسور الثقة (النظام والقانون) والإحساس فعلا بالأمان لدى مكونات الشعب وعلى مدى أرض الوطن، وهذا ما يدعى في العلوم السياسية السيادة واستقلال القرار الوطنى.

لم تخترع قيادة حركة التحرر الوطنية للشعب الفلسطينى(منظمة التحرير الفلسطينية)مفهوم السيادة واستقلال القرار الوطنى، وإنما منحته معنى متطورا، بما يعزز هذا الانتماء الوطنى الانسانى بعلاقة الشعب الفلسطينى المصريرية مع شعوب ودول أمته العربية بروابط (القومية الانسانية) وفي خط موازى، يعزز العلاقة مع شعوب ودول العالم الحضارية الانسانية ، وكان تركيز القيادة على استقلالية القرار الوطنى الفلسطينى بمثابة الوصفة الوقائية ، لحماية المعنى الجوهرى للوطن (فلسطين) الذى سعت الدول الاستعمارية والمنظمة الصهيونية الى شطب الشعب والكيانية السياسية التي تمثله عن خريطة الجغرافيا السياسية، الابقاء على الأرض ولكن بعد استبدال اسمها من (فلسطين) الى (اسرائيل) مايعنى كسر اضلاع (مثلث الانتماء الوطنى) باحتلال واستيطان الأرض، ومنح جماعات وقوى - تكفر المؤمنين بمبدأ الوطن والانتماء الوطنى وأخرى تتبنى نظريات مستوردة معلبة - اسباب الاستمرار بقوة لإحداث الشروخ والتشققات في البناء الوطنى الفلسطينى القائم رغم أكثر من مئة وعشرين سنة على ابتداء المؤامرة وابتداء تنفيذها (وثيقة كامبل 1905).

لذلك طرحت القيادة ثقافة السيادة واستقلال القرار الوطنى، المنبثقة عن ثقافة الانتماء الوطنى (الطبيعية) لتكون ركنا من اركان العقيدة الوطنية الانسانية، التي لابد منها لضمان توازى خط: النضال والتحرر والتحرير مع خط البناء والاستقلال والسيادة، لكن عقلية التبعية التي كرسنها مفاهيم الجماعات المنغلقة فكريا ووطنيا وثقافيا وإنسانيا، استطاعت - بفضل مساندة قوية وخضوع كامل لشروط المؤامرة - الحاق ضرر ودمار بقضية الحق الفلسطينى، تماما كما خططت له دوائر دولة الاحتلال والاستيطان والقوانين العنصرية (اسرائيل).

فالشعوب والدول لا تهزمها الحروب التي تشن عليها من الخارج، وإنما الجماعات والأحزاب والقوى التي تقدم الوطن بمقدراته وشعبه ومستقبله وحتى وجوده كرهن، مقابل حفنات مال، لا يساوي أعظمها حذاء طفل قضى تحت انقاض بيته في حرب اعلنتها جماعة مسلحة من اجل مصالح ذلك الأجنبى وتمدد نفوذها.ولنا مثال فيما كان ومازال بين نظام بلاد فارس وحماس ونظرائها في «محور الخضوع والتبعية » كان ثمنه ابادة ودمار غزّة !.